MERS
MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN-NAHAR
Date : 6-3-98
Photo No. : 181

المقْلاة والدواء

بقلم سمير قصير

منذ يومين وبعض العرب يتبادلون التهاني، ولو بشيء من الخفر، بفوز الرئيس الاسرائيلي عازر وايزمان بولاية ثانية، باعتبار هذا الفوز صفعة جديدة لرئيس الوزراء بنيامين نتنياهو. الصفعة لا نقاش في حدوثها، وخصوصا ان نتنياهو اصر على الخروج على القاعدة غير المكتوبة بدفع مرشح يميني مغمور الى مناطحة احد "ابطال" اسرائيل. ولكن هل ما يبرر التهاني؟ هل ما يبشر بتعاظم حركة تنتهي باطاحة نتنياهو؟

منطقيا، الجواب نعم. الا ان السياسة تعصى احيانا على المنطق، وهذا ما يحدث بانتظام في اسرائيل منذ عودة تجمع" الليكود" الى الحكم عام ١٩٩٦. هكذا صار علينا تحمل اوزار اللاعقلانية في السياسة الاسرائيلية، وكأن فقدان العقلانية في السياسة العربية لا يكفينا! ولعل اخطر تعبير عن هذه اللاعقلانية وجود شخصية من "التفلون" كما تقول الصحافة الغربية في سدة الحكم في اسرائيل. و"التفلون" هو تلك المادة التي تطلى بها المقالي الحديثة (مثل "تيفال") حتى لا يعلق بها شيء بعد القلي، تماما كما لا يعلق شيء على مسيرة نتنياهو في السياسة. فهو رابح مهما خسر بينما ظل خصمه السابق شمعون بيريس خاسرا مهما ربح. وهو يراكم الاخطاء، بل والمفوات منذ ما يقارب السنتين ويبقى واقفا لا يتزعزع. وبذلك لا يقارن باحد في التاريخ السياسي الاسرائيلي، ولا يوازيه من رجال السياسة في العالم الغربي الا الرئيس الاميركي الاسبق رونالد ريغان و... الرئيس الحالي بيل كلينتون. الا ان نتنياهو يتفوق على الرئيسين الاميركيين المذكورين بكونه يفتقد الى العامل الذي يقف وراء نجاحهما رغم الاخطاء والمفوات، اي العامل الاقتصادي. كذلك، لا يشبّه نتنياهو باسحق شامير، احد اسلافه في رئاسة الحكومة الذي نجح لسنين طويلة في مقاومة الرياح المعاكسة بفضل عناده. فنتنياهو لا يعاند دائما، بل يتراجعانا، على الاقل في السياسة الداخلية، وهذا ما يزيد من تشويش صورته. ولكنه مع ذلك يصمد، ضد المنطق وضد الحسابات البرلمانية وضد الولايات المتحدة. وسلاحه الوحيد تلك القاعدة الدستورية الجديدة التي جعلت رئيس الحكومة منتخبا مباشرة من الشعب وغير قابل للعزل الا باكثرية الثلثين، اللهم اذا شاء الكنيست الانتحار (فاذا تقرر حل الكنيست تكفي الاكثرية المطلقة لاسقاط رئيس الوزراء). لكن السلاح الدستوري لا يفسر وحده سره في البقاء، فما من شيء يضمن الا يعاد انتخابه في حال دعي الاسرائيليون الى انتخابات مبكرة. ولا يحول دون نجاحه الممكن فشله في تحقيق هدف "الامن" الذي رسمه لنفسه.

بازاء هذه الحالة الاستثنائية، كيف لا ييأس الفلسطينيون؟ بل كيف لا تيأس الادارة الاميركية، اذا افترضنا انها فعلا راغبة اخراج مسيرة التسوية من مأزقها الراهن؟ فحتى لو قررت واشنطن ممارسة ضغط مماثل للذي ادى الى سقوط اسحق شامير عام ١٩٩٢، عندما سحبت مشروع ضمانات القروض، فانها تصطدم بالروزنامة الانتخابية الاسرائيلية، التي لا تلحظ انتخابات قبل سنة ٢٠٠٠.

اما الدواء الذي ينصح به بعض الاطباء ضد اليأس والذي اسمه اليوم اسحق موردخاي، فيخشى ان يكون مفعوله عقيما كما كان مفعول الدواء السابق الذي كان اسمه ديفيد ليفي.

وفي اي حال، ليس موردخاي دواء الا بالنسبة للاميركيين. اما العرب، والفلسطينيون تحديدا، فلا يمكن ان يكون دواؤهم غير قمة عربية تخرج عن المألوف، وتعيد بناء بعض ما تهدم منذ تموز (١٩٩١، في بدأت الدوَل العربية تدخل فردة مسيرة التسوية. لكن الشرط الاول لتفعيل هذا الدواء يبدأ بالوعي بان نتنياهو دواء بذاته، وفي معزل عن علل اسرائيل الاخرى، وتاليا انه لم يكن صحيا اللعب بالنار من اجل اسقاط بيريس والتسوية معه. اما اذا توافر هذا الوعي، فسيصير ممكنا التفكير جديا في كيفية تحويل مقولة "السلام خيار استراتيجي" الى سلاح تكتيكي يشهر في وجه الولايات المتحدة، علها تخاف، لمرة، من الفلتان.

سمير قصير